أطوار الوحدة العربية

للأستاذ نسيب ســـعيد

[اغتبط قراء « الرسالة » — وما أكثرهم — للنبأ العظيم الذي أذاعته عليهم في أعدادها الأخيرة من تخصيص بعض أعدادها لخدمة الوحدة العربية ، والقضية العربية ، وقديماً عرفت « الرسالة » بخدمتها لرسالة العروبة وفضلها الجزيل على الثقافة العربية ، مما جعل لها المقام الأول في قلوب أبناء العرب في سائر الأقطار ، وجعل صاحبها محبباً إلى القلوب جميعها ، كريماً على النفوس كلها . أدامه الله للعرب فخراً ، وللاسلام ذخراً ...]

القضية العربية

البحث عن « القضية العربية » طريف ، والحديث عن العروبة ذو شجون وبخاصة في هذا العصر ، عصر القوميات . ونحن نريد اليوم في حديثنا الأول أن نبحث للقراء في تاريخ الفكرة العربية الحديثة ، ونستعرض لهم أدوار هذه الفكرة وأبطالها في التاريخ المعاصر ، ثم ننتقل بهم بالحديث عن الخدمات الجلى التي قدمها العراق للوحدة العربية وعن أثره في القضية العربية الكبرى ، وبخاصة عن المعاهدة العربية الأولى التي عقدها العراق عام ١٩٣٦ مع المملكة العربية السعودية ؛ وقد كانت هذه المعاهدة نواة الوحدة العربية ، ثم كيف سافر جميل بك المدفعي رجل العراق من بغداد إلى صنعاء بطريق القاهرة في شهر أغسطس سنة ١٩٣٧ ، وأشرك دولة اليمن السعيدة في معاهدة الوحدة ، فأصبح الحلف العربي ثلاثياً بعد أن كان ثنائياً ، وترك الباب مفتوحاً لسائر الدول العربية للدخول في هذه الوحدة ، والانضمام إلى هذه المجموعة العربية ، كما دخلها : العراق والحجاز واليمن

حلم محمد علي الكبير

وإذا أردنا الحديث عن فكرة الوحدة العربية والبحث عن الدولة العربية الموحدة في العصر الحديث ، فلا بد لنا من الانتقال إلى الوادي السعيد ، إلى ضفاف النيل ، فمصر العزيزة هي البلد الأول الذي فكر في الدولة العربية الكبرى ؛ وللقطر العربي قصب السبق في بعث فكرة الوحدة العربية الأولى ، وخلق الوعي القومي . ولعزيزة محمد علي الكبير الفضل الأول في إيجاد الفكرة ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون !

كان ذلك في القرن الماضي يوم ظهر محمد علي الكبير مؤسس البيت المالك المصري في وادي النيل ، وسعى لتأسيس دولة عربية جديدة ، وفكر في قلب المملكة المصرية إلى امبراطورية عربية إسلامية كبرى تستطيع الظهور بين الدول الأوربية الحديثة . كذلك حارب الوهابيين في الجزيرة ليبسط نفوذه على سائر بلاد العرب ، ويحقق حلمه الذهبي الجميل ، ثم استولى على بلاد الشام وأعاد إلى سورية الإخاء والرخاء والخيرات ، ومنع الجيش المصري الباسل قبائل البدو من الاعتداء على القرى والمزارع ، ووضع حداً للصراع الذي كان لا ينقطع بين الدروز والمسيحيين في ديار الشام

فالنتيجة التي نستطيع أن نقررها إذن ، هي أن محمد علي الكبير عزيز مصر هو أول من فكر في الوحدة العربية ، وأول من حلم بتأسيس دولة عربية جديدة مكان الرجل المريض أمين الدولة العثمانية ، تعيد إلى دنيا العرب ذكريات الأمويين والعباسيين والفاطميين ؛ ولكن الظروف السياسية القاهرة ، والعوامل الدولية المختلفة ، وقفت في وجهه ، واضطرته إلى الانسحاب من سورية ، فاقتصر حكمه بعد عام ١٨٤٠ على مصر وحدها كما حدث التاريخ ، وتبدد ذلك الحلم الذهبي الجميل في مصر

حلم ابراهيم باشا

وعلى كل حال فإننا لا نرى قبل القرن التاسع عشر ما يشير إلى قومية للعرب ، والتفات إلى دنيا العرب ، أو إلى أي فكرة عربية ؛ فقد كانت تلك القومية في سبات عميق ، وفكرة العروبة كسراب خادع ، وأول من حاول إيقاظها وتأسيس دولة عربية مركزها القاهرة محمد علي الكبير ، وقل كذلك ابنه ابراهيم باشا . ولئن كان المشروع لم يتم فإن النواة

قد وضعت فى الأرض ، وترك للزمن إنباتها وإحياؤها . وكيفما كان الأمر فإننا لا نرى فى الشرق العربى منذ أيام ابراهيم باشا المصرى حتى أواخر القرن التاسع عشر حركة جديدة للانفصال عن السلطنة العثمانية والاستقلال بكيان عربى منظم سوى تلك الحركة المباركة التى انبعثت فى وادى النيل السعيد ؛ لأنه ما من شك فى أنه لم يكن لقطر عربى من الأسباب المعهدة لظهور فكرة قومية عربية ما كان لمصر فى القرن التاسع عشر ؛ فهى أسبق البلاد العربية إلى إنشاء وحدة إدارية ذاتية ، وحكومة شرعية صحيحة ؛ بل هى أول تربة بعثت فيها الروح العربية الاستقلالية القدسية، بل روح العزة والكرامة والمجد كما يستدل عليه من سياسة ابراهيم باشا التى كانت ترمى إلى فصل بعض الأقطار العربية عن جسم الدولة العثمانية واستقلاله بها ، فقد صرح (للبارون بوال كونت) بقوله : « ما أنا بتركى ، بل أنا ابن مصر . إن شمسها قد غيرت دمى فجعلتنى عربياً خالصاً . . . »

وقد سارت مصر بعد ذلك بخطى ثابتة فى ذلك السبيل فتأسست فيها عدة جمعيات عربية ، ومنظمات سياسية تعمل للعروبة وللوحدة الكبرى ؛ منها « الجمعية القحطانية » التى تأسست عام ١٩٠٩ ، « والجامعة العربية » التي أنشئت سنة ١٩١٠ ، و « حزب اللامركزية » الذى تأسس فى عام ١٩١٢ . وكذلك يجب ألا ننسى « جمعية العهد » التى أنشأها فى الأستانة عزيز على المصرى يوم ٢٨ اكتوبر سنة ١٩١٣ فقد خدمت القضية العربية كثيراً ، وسنتحدث مفصلاً عن فضل مصر على القضية العربية وعن أثرها فى الوحدة العربية يوم تخصص « الرسالة » الكريمة الكلام عنها ولكل حادث حديث

المنظمات العربية

وكما تأسست فى القاهرة جمعيات عربية تعمل للعروبة كذلك أنشئ فى كل نسمة من عواصم العرب : فى العراق ، والشام ، والحجاز ، واليمن ، وفى كل بلد من بلدانهم ناد يضم الصفوة المختارة من أبناء العروبة . وذلك على أثر إعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٩ يوم تغير الحال غير الحال فى البلاد العثمانية فأطلقت الألسنة من عقالها والأقلام من سجنها

والواقع أنه لم يكن اغتباط العرب بالعهد الدستورى الجديد يقل عن اغتباط الترك ؛ فقد ملأوا الجو هتافاً وصياحاً فى بغداد والشام وغيرها ، ونظم شعراؤهم القصائد ، وحبر كتابهم المقالات، فى التغنى بمزايا العهد الجديد ، وانضم رجالهم ومفكروهم من عراقيين وسوريين وحجازيين إلى الاتحاديين موالين ومؤيدين لاعتقادهم أن دولتهم ستجدد شبابها وتسترد مقامها ، وأن الأمة العربية ستنصف ، وكرامتها ستصان

ولكن حينما بدرت بوادر الخلاف العنصرى بين العرب والترك تحول الحال ، إذ ظهر أن الاتحاديين يسيرون على سياسة قومية سداها ولحمتها تعزيز الجامعة الطورانية وتأييدها ، وأن الفكرة العربية قد عفا أثرها ؛ لذلك أقفرت أنديتهم وتفرق أنصارهم ، وضعف نفوذهم ، كما تخلى عنهم نواب البلاد العربية المؤمنون بالعروبة وأنشأوا كتلة مستقلة اتحدت مع النواب المعارضين للاتحاديين ؛ وختم هذا الدور بإعلان الحرب البلقانية فى خريف عام ١٩١٢ ؛ وتألفت فى خلال هذه الفترة جمعيات عربية عديدة كما قلنا ، فى مصر ، وبغداد ، ودمشق ، وبيروت ، والآستانة ، لحمل مشعل الفكرة العربية ، وتأدية رسالة العروبة ، وتعزيز شأن العرب ، وبعث الوعى القومى العربى ، فأثرت هذه الجمعيات أثراً بليغاً فى تكوين « الرأى العام العربى » وإليها يرجع معظم الفضل فى إنشائه وإعداده بالتعاون مع الصحافة العربية في مصر والعراق والشام والآستانة ؛ فقد ساعدت على تنمية الشعور القومى العربى وإيقاظه وبعثه ، كما ساعد الشعراء العرب بقصائدهم الحماسية والكتاب والخطباء بدررهم النثرية على خلق النهضة الوطنية العربية الجديدة

وأهم تلك المنظمات العربية التى تأسست يومئذ هى : جمعية الإخاء العربي ، المنتدى الأدبى ، الجمعية العربية ، « الفتاة » ، الجمعية القحطانية ، العلم الأخضر ، حزب اللامركزية ، جمعية بيروت الإصلاحية ، جمعية العهد ، مؤتمر باريس العربى ، الجامعة العربية ، النادى الوطنى فى بغداد ، وجمعيه البصرة الإصلاحيه . ونتحدث اليوم عن هاتين الأخريين فقط لأنهما نشأ فى العراق وعملا فيه

الجمعيات العراقية

أما المؤسسة العربية الأولى فى العراق فهى النادى الوطنى فى بغداد فقد أنشئ فى الزوراء عام ١٩١٣ على أثر تأسيس حزب اللامركزية فى مصر ليكون فرعاً له ، وكان رئيس هـذا النادى مزاحم الباجه جى صاحب جريدة النهضة العراقية أول جريدة فى العراق خدمت القضية العربية الكبرى . وانتسب إلى هذا النادى كثير من الشباب العراق المثقف ، فنشر المبادىء القومية العربية وعززها . وكان يستظل بظل الزعيم العراق حينئذ السيد طالب النقيب رئيس جمعية البصرة الإصلاحية الذى نشطه لإصدار جريدة النهضة فكان يصدرها مزاحم نفسه ، فلما عطلها الاتحاديون الترك ولم يصدر منها سوى (١٢) عدداً وأمروا بالقبض على صاحبها فرّ إلى البصرة ودخل فى حمى السيد طالب النقيب

والمؤسسة العربية الثانية فى العراق هي جمعية البصرة الإصلاحية التى أنشأها السيد طالب فى مدينة البصرة ، وقد كان يومئذ نائبها في مجلس النواب العثمانى وأحد زعماء حزب الائتلاف ، فانضم إليها عدد كبير من رجالات البصرة وشبابها الناهض ، كما انضم إليها أحرار العراق وزعماؤه المخلصون ، فأصدرت جريدة النهضة فى بغداد لتكون لسان حالها ولكنها لم تعش طويلاً كما قلنا . وحينما عقد مؤتمر باريس يوم الأربعاء فى ١٨ يونيو عام ١٩١٣ فى منتصف الساعة الثالثة بعد الظهر أبرق إليه فى تلك الساعة السيد طالب الزعيم العراق مؤيداً ومشجعاً ، مخاف الترك العاقبة ، ولذلك انتدبوا أحد رجالهم وهو القائمقام فريد بك وعينوه قائداً للبصرة ، وناطوا به مهمة اغتيال السيد طالب ؛ فجاء البصرة ومعه حاشية كبيرة فأسرع هذا وأرسل إليه من اغتاله . فرأى الترك أن من مصلحتهم الجنوح إلى المسالمة ، فاستمالوا السيد طالب وأرسل إليه طلعت بك وزير الداخلية التركية يومئذ برقية مفرغة فى قالب المجاملة ، فأذاع على الأثر البيان التالى : « أعلن بكمال الفخر إلى عموم أهالى العراق (الولاية والملحقات) بأننا قد اتفقنا فى أمر تشريك المساعى وكأننا روح واحدة ، وجسد واحد ، لأجل رفع شأن وشوكة حكومتنا السنية التى قدرت صداقتنا رسمياً ، ولم يبق خلاف بيننا بأى صورة كانت ، وقد زال ما كان من سوء التفاهم زوالاً قطعياً ، وصرنا كتلة واحدة نعمل على سعادة دولتنا العلية ، ونسعى فى محافظة وحدتنا العثمانية بكل قوانا حتى لا يبقى منا فرد واحد ، وللبيان حررت الكيفية وأعلنت فى ٧ ربيع الأول سنة ١٣٣٢ »

* * *

إلى هنا أكتفى اليوم بالبحث عن تطور « الفكرة العربية » وعن الجمعيات العراقية ، وسأحاول فى حديثى المقبل تصوير رجالات العراق الذين خدموا قضية العروبة ، وحملوا رسالة « الوحدة العربية » وخاصة أولئك الذين اشتركوا فى الثورتين : ثورة العراق وثورة الحجاز ؛ وعملوا فى الدولتين : دولة بغداد ودولة الشام ، مع أقوالهم والوثائق والمستندات التاريخية التى تؤيد ذلك ؛ فإلى اللقاء ...

(دمشق)

نسيب سعيد
المحامى

سينما ستوديو مصر
حاليا
فوزى الجزايرلى — إحسان الجزايرلى
تحيـة كاريوكا
ونخبة كبيرة من أنبغ الممثلين والممثلات وأقدر المطربين والمطربات
فى فيلم
الستات فى خطر
إنتاج ستوديو مصر
إخراج ابراهيم عمارة
سجل تجارى ٢٩٧٣